مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد02 2022/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

دور العقيدة الإباضية في المحافظة على ثقافة المجتمع الرستمي –الحلقة أنموذجا

The role of the Ibadi Creed in maintaining the Rustumi society:The Episode as a model.

بلخير ليبدري [1] *

[1]جامعة تلمسان– الجزائر–

belkheir20000@gmail.Com

تاريخ الاستلام: 2021/02/24 تاريخ القبول: 2021/04/11

ملخص:

تدور هذه الدراسة حول أهم تنظيم عرفه المجتمع الإباضي هو نظام الحلقة أو العزابة التي تظل ركيزة أساسية في المنهج والمذهب الإباضي نظرا لاهتمامهم بالتعليم وتربية النشئ وزادت أهمية الحلقة بعد سقوط الدولة الرستمية على يد الشيعة الفاطميين فأرادوا بها إعادة بعث المجتمع الإباضي والمحافظة على ركائزه الأساسية كنظام اجتماعي وثقافي صارم، ولعل أبرز انموذج عن أعلام هذه التنظيم الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر.

الكلمات الدالة: الدولة الرستمية، التعليم، نظام الحلقة، شيخ الحلقة، أبو عبد الله محمد بن بكر، العقوبات.

Abstract:

This study revolves around the most important organization known to the Ibadi community, which is the circle system or single ceremonial system, which remains a mainstay of the Ibadhi curriculum and doctrine due to their focus on the education and education of young people. cultural, and perhaps the most striking example of the flags of this organization is Sheikh Abu Abdullah Muhammad ibn Bakr.

Keywords: The Rustamid state, education, the circle system, the sheikh of the circle, Abu Abdullah Muhammad ibn Bakr, the penalties.

* **المؤلف المرسل**: بلخير ليبدري، **الايميل**: belkheir20000@gmail.Com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مقدمة:

لقد بلغت تيهرت شأنا عظيما من المدنية والعمران، ومن توفير أسباب الحضارة والرفاهية حتى أنها كانت تقارب بغداد ودمشق وكانت تدعى عراق المغرب، وكانت لهم مجالس للتبحر في مختلف العلوم حتى قيل كان بيت الرستميين بيت العلوم وجامعا لفنونها ومع أن الدولة الرستمية كانت إباضية فإنها كانت متسامحة مع جميع المذاهب الإسلامية، حتى أن المناظرات العلمية كانت تعقد بين أيدي الأئمة بصدر رحب، فقد كانت لأئمة الدولة اهتمام كبير بجمع الكتب النادرة وجلبها إلى تيهرت، لكن الظروف السياسية التي عرفتها المنطقة عند ظهور الفاطميين الشيعة والعداء للخوارج تمكنت من القضاء على الرستميين ودولتهم، بل واستمرت في معاداتهم وملاحقتهم عبر كامل مناطق الدولة الرستمية إلى غاية تاريخ 358هـ 969م في باغاي فغابت الدولة الرستمية منذ ذلك التاريخ عن الوجود السياسي في بلاد المغرب الإسلامي والأوسط خاصة، فظهرت ملامح تغير وتجسد عمق التأثير الفكري والحضاري للدولة الرستمية والتي استمرت آثارها الفكرية والعلمية فعوّضت غيابها السياسي وكما بدأت كأول مرة على هيئة حركة علمية تربوية ظهرت من جديد في نفس الثوب في صورة ربما أكثر دقة من حيث التنظيم والأهداف، لكنه في طي الكتمان وبدون ظهور ذلك فأصبحت الدعوة للمذهب والعقيدة الإباضية تأخذ شكلا جديد يعرف بنظام الحلقة أو العزابة، ونستطيع القول أن أهم إنجاز في إطار الحركة العلمية في هذه المرحلة الجديدة مع نهاية القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس الهجري كان وضع هذا المخطط المحكم لنظام الحلقة وإرساء قوانين وآداب تثبيتها في أوساط المجتمع الإباضي مما أفاد الحركة العلمية بشكل كبير خاصة وأنها تتعرض لنظم الدراسة والحياة في الحلقة وما يتعلق بها من سلوك وعبادة وبذلك تكون الإباضية قد حققت جزء من مشروعها وأهدافها كبناء مجتمع إباضي متماسك ومتعلم ومتكامل لكنها لم تستطع بعث دولة إباضية من جديد.:

1- مراحل نشأة نظام العزابة:

يولي الإباضية اهتماما كبيرا للتعليم، فالمصادر القديمة وحتى الحديثة تفرض على أتباع المذهب الإباضي طلب العلم وتشترط على القائم بالتعليم شروط تتوفر فيه، ليتمكن من النجاح في مهمته يذكرها الجيطالي كأن يكون المعلم عاملا بعلمه، تقديم التضحية والرفق بالمتعلمين وأن يخلص عمله لوجه الله متسع صدره

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

صبورا وأخلاقه حميدة مراعيا في ذلك القدوة الحسنة(الجيلاطي: 1975، ص113. وما بعده.) وغيرها من الشروط الأخرى.

وأهم ما ميّز الفترة التي تلت سقوط الدولة الرستمية هو محاولة إنشاء نظام خاص للتعليم، حيث حدد مهام الشيخ (مجموعة من الباحثين: 2011، ص 577.) الحلقة ومساعديه كالعرفاء، كما وضع نظام حلقة التدريس كأوقات الدراسة وطريقة الامتحانات وأنواع العقوبات.

فنقول أن سقوط تيهرت عام 296 هـ 908م على يد جيوش أبي عبد الله الشيعي (جودت م2003، ص 47.) لكن حركتهم لم تنقرض، فقد حاولت الظهور من جديد بل وهددت الفاطميين بثورة قادها أبو يزيد صاحب الحمار(ابن خليكان، 1978، ص 234 وما بعدها، أبي زكريا 1982، ص 175.) لكن هزيمته ساهمت في تراجع الفكر الإباضي في كامل المغرب الإسلامي وما بقي منهم انتشر بين المغرب الأدنى- نفوسة والمغرب الأوسط سدراتة، وأريغ. وبعضهم توجه الإقليم ميزاب (مزهودي، 1409هـ-1988م، ص 2.) فقد أدرك جمهور الإباضية أن التعليم يمثل ركيزة أساسية لتوصيل الحركة المذهبية وبدونه لن يكون هناك استيعاب لمبادئه ولن يجد فرصته في الانتشار وسط السكان. فكان سلمة بن سعيد على حق عندما أرسل البعثة العلمية إلى البصرة.

فلقد بدأ المذهب الإباضي كغيره من المذاهب الإسلامية على هيئة حركة علمية تربوية تأسست في البصرة جنوب العراق وعلى أيام أبي عبيدة توسعت الحركة وانتشرت معالمها العلمية والتنظيمية بشكل دقيق وجدّي على هيئة مجالس علمية يؤطرها شيخ وعلماء، ويبدو أن عبد الرحمان بن رستم كان أحد ثمرات تلك المجالس، فقد عمل تلاميذ وطلبة تلك المجالس على نقل نظام المجالس العلمية إلى بلاد المغرب خاصة في تيهرت وفزان والقيروان.(النامي، 1997، ص 98-99.)

لا شك أن استقرار يعقوب بن أفلح في ورجلان يمكن أن يكون عاملا لتواصل الحركة العلمية ومحاولة بعث الإباضية من جديد، وقد جاء بعده يعقوب بن أفلح الشيخ أبو نوح سعيد بن زنغبيل وإليه انتهت رئاسة الإباضية في العلم وقد شارك في الثورة ضد الفاطميين. (النامي، 1997، ص 102).وقد عقد هذا الشيخ حلقة الدرس في مسجد الشيخ جنون وقد مكثا على هذا الحال وقتا وزمنا فهو كان الداعم الأوّل لقيام وانتشار، بل وازدهار الحركة العلمية في ورجلان. فقد أبى الرحيل مع المعزّ رغم مكانته الخاصة عنده فقد

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

اشتهر بفصاحته وفنون رده على المخالفين (ابن حماد، 1346هـ، ص 58)، لكن وفاته عجلت بتدهور الأوضاع (النامي، 1997، ص 103) وتراجعها ففقدت السند والدعم المادي للحركة والجماعة والمذهب ككل. (أبي زكريا ، ص 218 وما بعدها)

يعد نظام العزابة (ابن منظور 1970، ص 595) الإباضي أحد أبرز خصائص الإباضية بعد سقوط دولتهم الرستمية، فيكون هذا النظام قد حفظ وحافظ على المجتمع من الانحلال والتفكك ويضمن استمرار المبادئ وعقيدة الإباضية وبقاء الإشعاع الفكري لمذهبهم في نظرهم وعقيدتهم فهو نظام وطرق إلى الآخرة.

فمن المؤكد أن نظام العزابة لم يتشكل بين ليلة وضحاها، بل الظاهر أنه تم عبر مسيرة طويلة ومراحل عديدة تراوحت بين المذهب والعقيدة والشيوخ والأتباع فبدايتها ربما تعود إلى طور الكتمان بالبصرة عبر مجالس سرية ضمت شيوخ المذهب، حيث كانوا يتدارسون السياسة العامة وسبل المحافظة ونجاح المذهب الإباضي وكذا شيوخه وأتباعه وطلبته، الذين سيتحملون عبء إتمام الرسالة وتحقيق أهداف شيوخهم بالدعوة وتدريس العقيدة الإباضية، وكما هو معروف، فإن تنظيم هذه الدعوة وعلى سريتها فقد وصلت بلاد المغرب الإسلامي على يد سلمة بن سعد ومعه حملة العلم (إسماعيل 1985، ص 219) حوالي النصف الأول من القرن 2 هـ. لكن الهزّات والضربات التي تعرضت لها الدولة الرستمية دفع بشيوخها إلى التفكير في كيفية المحافظة على عقيدة الإباضية فأوصلهم اجتهادهم إلى ضرورة إيجاد نظام لهذا الغرض يحفظ كيانهم، وكان لسقوط دولتهم وهزائهم المتتالية دوافع لتغيير نمط أسلوب دعوتهم فاتجهوا إلى السرّية والكتمان تفاديا للمزيد من التصفية، فكانت ورجلان (أبي زكريا، 1982، ص22).

وهذا الكتمان والتخفي كانت له دوافعه ومنها ما صدرت عن أحد الأئمة الرستميين وهم يعقوب بن أفلح صاحب مقولة "لا تستتر الجمال بالغنم" (أبي زكريا ، ص 188، الدرجيني، 1974، ص 105، الشماخي 132هـ، ص 365) فهل قالها على علم منه وهدف واضح فقط لأن الإباضية لم تعد قادرة على مواجه التيارات لتلك الفترة، فالبدايات الأولى لظهور نظام الحلقة والغرابة تعود إلى سليمان بن زرقون الإباضي الوهبي. (أبي زكريا، 1982، ص 193 وما بعدها) ويزيد بن كيداد النكاري. فالأول تبنى العمل التربوي والثاني اتجه إلى العمل الثوري وكلاهما تتلمذا على يد الجمعي (ابن زرقون، د.ت، ص 193). السجلماسي، فكلاهما كان يفكر في طريقة مثلى للحفاظ على المذهب والعقيدة ومن ثمار سليمان بن زرقون (الدرجيني،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

1974، ص 105). أبا القاسم وأبو خزر حيث نظما الحلقة سريا متأثرين بشيخهما أبي يزيد، فقد سمح نظام الحلقة للطلبة من تعلم القرآن وعلم الحديث وعلم الأصول واللغة العربية والسيرة النبوية وأخبار الأولين كما أظيفت نظما أخرى للحلقة كان من اجتهادهما تتعلق بالعقوبة والمأكل والراحة. أصبحت من مناهج الحلقة عند الإباضية لاحقا، كانت من عوامل تثبيت وترسيخ عقيدة الإباضية التي لا شك أنها وجدت قبولا عند الطلبة والشيوخ والأتباع، لذلك انتشرت أخبارهم وتنظيمهم إلى الفاطميين، فتصدى لهم الخليفة المعز لدين الله (ابن خلكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ص 224). الذي أسرع لقمع شيوخ الإباضية والتنظيم الجديد كان ذلك عام 358هـ-969م. بباغاي (ابن حوقل 1996 ، ص 84) فهزيمة باغاي تكون قد أنهت الكثير من الجدل حول استمرارية نشاط المذهب العلني من عدمه فكانت النتيجة التريث والتنكر والترقب، وقد تواصل نشاط الحلقات والدعوة من بعد الشيوخ الذين قضت عليهم الثورة على يد الفاطميين.

وظهر شيوخ من جديد حملوا هم إتمام الرسالة الإباضية منهم أبو نوح بواسطة الحلقات التي كان يقيمها بورجلان وإفريقية (شعبان، ص 121)، لكنه هو الآخر لم يتمكن من تبليغ رسالته والتغلب على الظروف الصعبة التي أصبحت تواجهه المادية منها. ولم يجد المساندة اللازمة، ويبدو أنه كان يفتقد إلى أسلوب معين لإنجاح دعوته، ثم جاء بعده من يكمل السيرة ممثلا في الشيخ أبو زكريا فصيل، تلميذ أبي القاسم وأبي خزر وتمكن من تأسيس حلقة تعرف بالسيرة المسورية.(أبي زكريا ، د.ت ، ص 251 . مجموعة من الباحثين، 2011، ص 522) لكن تقدمه في العمر ربما أعاق نشاطه والذي يستمر على يد الشيخ عبد الله بن أبي بكرالفرسطائي (بن بكر، د.ت، ص 170). بعد تكليف عدد من الطلبة بالبحث عنه ومطالبته بجمع الشمل وإتمام الرسالة وتنظيم الحلقة ومن دون شك أنه كان يعلم الكثير عن هذا النظام باعتباره تلميذ أبي القاسم وأبي خزر وأبي نوح بن زنغبيل وحلقة أبي زكريا فصيل (صلاح الدين،2003-2004، ص 122). ويكون بذلك قد تعرف على كل نظم حلقات شيوخه واقتنع بإتمام الدعوة إلى نهايتها بمساعدة وموافقة (الدرجيني، 1974، ص 169) الشيوخ فتم تأسيس السيرة المسورية البكرية 409هـ- 1018م في غار التسعي حيث جاءت حلقته منتظمة وعمله مدروس، توزع بين عدد من المناطق الإباضية فعرف أبي بكر (روبيناتشي،د.ت، ص 9) الفرسطاني سيدي محمد السايح لكثرة تنقلاته فاستطاع أن يؤسس نظاما اهتم

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وركز على الجوانب التربوية والتعليمية بهدف تكوين فئات وطلبة يخدمون المذهب الإباضي سرعان ما تحول إلى نظام اجتماعي نهض بالإباضية لمحاولة استعادة مجتمعها.

وكان بصدد إتمام رحلته عندما عاد من القيروان قاصدا أبو عمران موسى (الدرجيني، 1974، ص 408). بن أبي زكريا بتاجديت (معجم الإعلام الإباضية،2011، ص 320). وفي طريقه إليها التقى بكل من يونس وزكريا ابنا زكريا أبي ميسور يسجي بن يوجين البراسني ومع الطلبة (أبو زكريا، 1982، ص 253، الدرجيني، 1974، ص 169). الذين خرجوا في طلبه ويبدو أنه رفض في بداية الأمر رغم إسرارهم له على ضرورة تنظيم الحلقة لهم (الجعبيري 1975، ص 26). ومقابل الموافقة اشترط الإمساك عن سؤاله لمدّة أربعة أشهر (04) فاستقروا بمسجد المنية وهم على ذلك الشرط لكن الظروف التي تعرضت لها المنطقة وهي الزلزال فلم تعد آمنة فاستوجب على أبي عبد الله محمد بن بكر مغادرة المنطقة بعد أخذ رأي طلبته وجماعته، فكان الاختيار على مغراوة ريغ لأن بها أناس رقاق القلوب يسهل التعامل (الدرجيني، 1974، ص 170) معهم وإدخالهم في الإسلام، كان ذلك سنة 405هـ- 1018م، وكتب إلى أبي القاسم يونس بن يزلن الوليلي يعلمه بما أقدم عليه مع تلامذته وطلب منهم تحضير المكان المناسب لهم ويسمى الغار الأول للغرابة باسم التسعي (روبيناتشي، د.ت، ص 9) نسبة إلى السنة التاسعة من عام 405هـ، ومن هنا يكون هذا الإمام قد وضع أسس نظام الغرابة الذي جمع بين التربية والتعليم والعقيدة وإعادة بعث مجتمع إباضي من جديد، وسمي هذا النظام التعليمي بنظام الحلقة لأن الشيخ ومن معه والتلاميذ يجلسون في مقرهم على شكل دائرة أو حلقة. (حجازي2000، ص145) ونظام العزابة بديل عن قيام الدولة الإباضية وقد سمي كل من طلب العلم وسير أهل الخير عزابيا وفيه ابتعاد وعزوب عن أمور الدنيا والتوجه إلى الآخرة وحافظ وعمل بتلك الصفات الحميدة فإن حسن جميع هذه الصفات سمي عزابيا. (الدرجيني، 1974، ص 4)

ومن خلال المصادر نعثر على تنقلات الشيخ أبا عبيد الله محمد بن بكر والتي كانت إلى عدّة مناطق مع تلامذته وأتباعه للتعليم والإفتاء ومن أجل الدعوة للمذهب ولذلك عرف بسيدي محمد السائح والتي كانت تجري في ظروف طبيعية ومناخية صعبة وقاسية والذي كان بدون شك لصالح الطلبة من أجل تعويدهم على الصبر وتحمل المشاق والتعب. (الجعيبري، د.ت، ص 47). وتحمل المسؤولية والاعتماد على النفس لتمكينهم من نشر دعوتهم وتثبيت مذهبهم وكانت أهم رحلاته باتجاه وادي مصعب. (أحمد توفيق المدني، 1963،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ص 171)، حيث تكون مجالا للحلقة خصوصا أثناء فترة الربيع طلبا للراحة صحبة طلبته وكان سكانها على الواصلية فاستطاع أن يؤثر في بعضهم ويردهم إلى الوهبية (الدرجيني، 1974، ص 183)، كما نزل إلى قسطيلية (الدرجيني، 1974، ص 184) وفي طريقه إلى تمولست (الدرجيني، 1974، ص 184). عقد مجلسا في المسائل، وعندما فرغ الرجال من مجلسهم دنت النسوة تسألنه، كما زار لماية وعقد بها مجالس بعد أن اجتمع عليه الشيوخ وصاروا يسألونه، وبعدها تحرك إلى جربة ومناطق كثيرة قبل عودته إلى ريغ (الإدريسي، 1979، ص 58.)

فدخل إفريقية ووزع طلبته على الأحياء، قصد الدعوة إلى المذهب ومراجعة المسائل من خلال لقاء المجالس (أبو زكريا،1982، ص 328) وحتى الأكل وضع له أبا بكر نظاما ينبغي احترامه ولا يجوز الإخلال به فكثر عدد طلبته والذين كانوا يسيرون معه حتى القبائل حيث كان يعين على كل قبيلة من يسهر عليهم ويعلمهم.

أما عن أسباب وعوامل نشأة نظام الحلقة فمرده إلى الضعف والتراجع الذي أصاب المجتمع الإباضي بعد سقوط عاصمتهم على يد الفاطميين سنة 296هـ. وما تلى ذلك من نكسات وهزائم، ومنها نتائج معركة مانو 283هـ 896م (حجازي،2000، ص 142). بين الأغالبة وأهل نفوسة المخيبة والذي ذهب ضحيتها 1200 قتيل و400 عالم وأخذ 80 عالما كأسير فتلك خسارة كبرى للإباضية وبعدها بسنوات جاء سقوط تيهرت، ثم فشل ثورة أبي يزيد الإباضي النكاري سنة 338هـ- 969م (لدرجيني، 1974، ص- ص 96-102). وبعد انهزام الإباضية في معركة باغاي ضد المعز لدين الله سنة 358هـ (صلاح الدين شعبان، ص 114). والتي اعتبرت محاولة أخيرة من أجل الظهور وبعدها دخلت الإباضية في طي الكتمان وأخيرا حالة الضغط التي آل إليها المذهب الإباضي بعد فقدان أهم شيوخه وأئمته.

وربما نتساءل هل نظام العزابة ظهر مع الشيخ أبو عبد الله بن بكر أم الفكرة جاءت قبله؟ ومهما كان الجواب فإن هذا النظام بأهدافه وشروطه ظهر بعد الأزمات التي هزت الدولة الرستمية لكنه يكون قد حل محل أهل الرأي والعزم والحكم، وهناك نص يشير إلى هذا المعنى.

"الحلقة التي أثبتتها المشايخ رحمهم الله حيث غاب عن أهل المذهب السلطان العادل وأنزلوا الحلقة منزل السلطان العادل في العدل سواء". (سامية ،2006/2005، ص 105).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

فالحلقة هو ذلك الاجتماع للطلبة على شكل دائري بدون فراغات يتكون من 12 عزابا ناسكا أو فقيها وتطورت من سيرة العزابة إلى سيرة الحلقة ثم إلى نظام العزابة وهي فكرة تقوم وتنتهي إلى المحافظة على المجتمع الإباضي ومن سيرة الحلقة إلى نظام الحلقة. (شعبان، ص 113).

2-نظام الحلقة:

لقد شرع في تطبيق مبادئ هذا النظام في أول حلقة له بغار تين يسلي بالقرب من مدينة توقرت سنة 409هـ - 1018م. فالقوانين التي وضعها أبو عبد الله محمد بن بكر تمثل الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يدخل إلى الحلقة وأعضاؤها ومهام كل واحد منهم، وأهمهم شيخ الحلقة، العرفاء، والمأمرين فوضع الشروط الواجب توفرها والقبول يكون من خلال. (الدرجيني، 1974، ص171 وما بعدها).

أن يكون أديبا كيسا، وأن يكون يداوم طلب العلم، لا يكثر دخول الأسواق، أن يغسل جسده من الدنس بماء، ويغسل قلبه من الغش والكبر بماء وسدر، أن يكون حافظا للقرآن، ويكون ممن يحتاج إليه في بعض المواضع يلتزمها.

فمهام نظام العزابة تتلخص في كون المجالس الخاضعة لسلطة الشيوخ هي الآمرة والناهية داخل المجتمعات الإباضية وعادة ما تكون ممثلة من العلماء ورؤساء القبائل وتتنوع مهام العزابة إلى مهام إدارية وسياسية ولها صلاحيات واسعة تحت سلطة الشيخ، والمؤذن، وغسلة الأموات، ووكيلي المسجد، والقاضي، والمدرسين. (الجعبيري، د.ت، ص 76).

أما عن أوقات الدراسة ونظامها. فقد كانت تبدأ الدراسة في الثلث أو الربع الأخير من الليل حيث يشرع في الاستفتاح، ثم تبدأ قراءة القرآن الجماعية أو الفردية إلى غاية أذان الفجر (البرادي، 1302هـ، ص 207)، وبعد الدعاء والاستغفار تقام الصلاة، ثم يشرعون في تناول فطور الصباح (مزهودي،1409هـ-1988م ، ص 239).

ومن خلال النصوص نجد الأصناف التي تحضر إلى الحلقة فمنهم الأكابر وأواسط السن، كانوا يعتكفون مع الشيخ في الغار (أبو زكريا، 1982، ص 262). دون معرفة مدّة بقائهم وأحيانا الأصاغر وحتى النساء من حقهن الجلوس إلى الحلقة يسألن الشيخ وهناك من النساء من كانت تهتم بأمور الطلبة من غسل وطبخ ونظافة. (الدرجيني، 1974، ص 378).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أما هيئة العزابة فتدل على أهمية الحلقة من خلال هيكلها وتنظيماتها الأفقية والعمودية والتي أراها على شكل هرم قمته شيخ الحلقة، كل الأمور بيده نفوذه مطلق على كل الهيئات وحتى على السكان (متياز، د ت، ص ص 17-18). فهو الآمر والناهي باعتباره أعلم وأفقه الناس فهو المرشد والناصح والمفوض للاتصالات واتخاذ القرارات (جهلان،1991، ص ص 179-180)، مدّة حكمه قد تكون مدى الحياة (جهلان،1991، ص 169). يمثل سلطة الإمام في مرحلة الكتمان فصلاحياته واسعة ومتعددة لصالح المجتمع الإباضي وفي خدمته، يأخذ منه الطلبة علومهم، يجيب عن تساؤلاتهم ومسائلهم (الدرجيني، 1974، ص 05)، خاصة يوم الجمعة الذي يخصص للوعظ والإرشاد ويشاركه الطلبة مجلسه أثناء قراءة القرآن، كما ينظر في قبول البعض أو رفضهم إلى حلقة الغزابة. (الدرجيني، 1974،، ص 173).

أهل الحل والعقد: وهم أربعة رجال يعينهم الشيخ وعند وفاة أحدهم يعوض من العزابة. فهم الأربعة السابقون في الانضمام إلى الحلقة لهم الحل والعقد تعود إليهم القرارات الصادرة عن العزابة. (مجموعة من الباحثين:2011، ص 293).

باقي العزابة: وعددهم يفوق العشرة وهم المؤذن ورجال يقرئون الصغار ورجال يغسلون الموتى ورجلين يوكلان على المسجد وآخرون مكلفون بأكل العزابة والتلاميذ والصبيان ورجال مهمتهم نظافة المسجد وحراسته، وعلى رأس هؤلاء العرفاء وهو الاسم الذي يطلق على الهيئة الإدارية للحلقة ثم أعضاء هيئة العزابة، ومنهم:

عريف الختمات وأوقات النوم: دوره المراقبة التربوية وقد يتعرض إلى العقوبة كل من يخل بنظام المدرسة. مرتبة من حيث الأهمية والدور الثاني بعد الشيخ. (حجازي، 2000، ص159).

وعريف الطعام: الذي يكمن دوره في مراقبة أوقات الطعام، حيث يفرض عليهم عادات وآداب لا يمكن الإخلال بها وهي كثيرة.

وعريف تحفيظ القرآن: فهو معلم القرآن ومن له صلاحيات تحفيظ القرآن ويستعين في عمله بنقيب، ويسمح له بتقديم تقارير مفصلة عن كل حالة حول طلبة الحلقة وقد يرتبط ذلك بفرض العقوبات (معمر، 1964، ص 144). حسب درجة الخطأ ومدى مخالفة النظام العام للحلقة وحتى من يتغيب لا يستثنى من العقاب. (الدرجيني، 1974، ص 178).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

كما يوجد ضمن هذا الهرم **عريف أوقات الدراسة** ومن حقه مراقبة التلاميذ من حيث الحفظ والالواح ويشرف على سير الحلقة ويعاقب من خالف النظام العام للحلقة وحتى الغيابات بدون عذر وعدم الحفظ له عقوبته (الدرجيني، 1974، ص 173). وبصفة عامة فقد اتخذت إجراءات قانونية وقائية وزجرية احيانا حفاظا على النظم والترتيبات، فكانت شكلا لضبط المجتمع الإباضي، فهذه العقوبات جاءت بين الإنذار والتوبيخ إلى الخطة (معجم المصطلحات الإباضية، 2011، ص 343، مزهودي إسماعيل، 1409هـ-1988م ، ص 236). فلم يكن الجزاء إلا عند الإخلال بأحد قوانين الحلقة كالتأخرات والتغيب أو الإهمال أو عدم الالتزام بالمواعيد وإفشاء أسرار العزابة لدى العامة دون سبب. (حجازي ، 2000، ص 274.)

الخاتمة:

لقد تطور الفكر التربوي الإباضي على مدى نشأة وامتداد هذا المذهب واستمر إلى غاية ما بعد سقوط الدولة الرستمية، فالإباضية تضع التعليم كأهم أساس لاستمرار الشخصية الإباضية، وجاءت الحلقة لتضع الوسائل والطرق الكفيلة لتحقيق ذلك، فعلى خلاف الشيعة والسنّة فإن الإباضية بقيت مجرد نظريات مدفونة في قلوب الشيوخ والأئمة ولذلك لم تجرد على الوثائق حتى جاء الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر فرسم نظامًا للحلقة وحرس على تبليغه وعدم تجاوزه أو التهاون فيه، فالمحافظة عليه يضمن استمرار المجتمع الإباضي، والمتفق عليه أن نظام الحلقة كان نظاما شاملا اهتم بالجانب التربوي والتعليمي والسياسي والاجتماعي فهدفه، كان بعيد يريد إعادة بعث الدولة الرستمية والمجتمع الإباضي ككل وربما الدور الأهم لنجاح العملية التعليمية عند الإباضي هو طابع وصفه هذا النظام الذي لم يكن يخضع لتوجيه الدولة، إنما كانت تكتفي فقط بتوفير الحماية والأمن للتعليم، لذلك نقول أن الحلقات التعليمية كانت أهدافها سياسية تنظيمية وقد جمع بين العلم والنظم الذي كان يقدم حماية للمجتمع.

فمن خلال ما سبق نكون قد وصلنا إلى أن نظام الحلقة كان يهدف إلى تحقيق مجموعة من الأهداف القريبة منها والبعيدة تتعلق بالانضباط والآداب والتعليم والصبر والتجلد والعمل الجماعي والتضحية.

وعلى العموم، فإن الآداب والنظم التي ينص عليها نظام الحلقة يصب في تكوين جيل متعلم ومحافظ، ابتداء من الجلوس إلى النوم والراحة، فالنظم شملت الدراسة والمعاملات والآداب والأخلاق والنظافة فكل الأعمال وتصرفات الطلبة مضبوطة ومدروسة وتكون في شكل جماعي وفي احترام حتى في حالة العقوبة كانت تتم

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

برضا واقتناع وبدون امتناع التلاميذ، وهكذا كان حسن الخلق والتحكم في النفس وتحمّل المسؤولية كلها قواعد أساسية يتعلمها التلاميذ والذي كان بمثابة الجندية لها قوانينها وترتيباتها الواجب احترامها والعمل بها في الحياة اليومية للتلاميذ، فهو نظام خلق أفراد لهم القدرة على قادة المجتمع الإباضي.

وأخيرا نقول أن الشيخ أبو عبد الله بن بكر هو المؤسس الحقيقي لنظام عزابة ببلاد المغرب الأوسط بعد سقوط الدولة الرستمية لكن هذا النظام وعلى ما جاء به من محاسن فيبدو وكأنه يبالغ في العقوبات المفروضة على الطلبة وفيه قساوة رغم اعتماده على المرحلية في العقوبات إذ يخرج النظم عن طبيعته التربوية ويصبح نظام متسلط وفيه تقييد للحريات والإبداع والفكر، فلا مجال للفرد إلا وسط الجماعة فلقد كان هذا المذهب الإباضي شبه منعزل ومنغلق عن الآخرين خصوصا في المرحلة المتأخرة بعد سقوط الدولة الرستمية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن حماد أبو عبد الله محمد بن علي، (1346هـ)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، مطبعة جول كربونل.

2- ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب المحيط، إعداد يوسف خياط ونديم معرشلي، دار لسان العرب ، بيروت، 1970

3- أبي زكريا يحي بن أبي بكر، (1982) كتاب سير الأئمة وأخبارهم، حققه، إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

4- الإدريسي، (1979) المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، نشره دوزي وذي خويه، المطبعة الشرقية أمستردام.

5- البرادي أبو القاسم محمد بن إبراهيم،(1302هـ)، الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلى به كتاب الطبقات، طبعة حجية، قسنطينة.

6- التليسي بشير رمضان، (2003) ، الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن 4 هـ، دار المدار الإسلامي، ط1.

7- الجيلاطي إسماعيل بن موسى، (1975) قناطر الخيرات، ج1، تحقيق عمرو خليفة النامي، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

8- الجعبيري فرحات، (1975) نظام العزابة عند الإباضية بجربة، المطبعة العصرية، تونس.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

9- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، (1974)، طبقات المشايخ، المغرب، ج1، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.

10- الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد، (1432هـ)، كتاب السير، طبع حجري، قسنطينة، الجزائر.

11- المدني أحمد توفيق، (1963) بني ميزاب اليوم، كتاب الجزائر، دار المعارف، القاهرة.

12- المقري سامية، (2006/2005) التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة 296هـ-409هـ-909م-1018م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة.

13- النامي عمرو خليفة، (1997) ملامح عن الحركة العلمية بورجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجري، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي فبراير 1977، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر.

14- بن خليكان أبو العباس شمس الدينبن أبي بكر، (1978) وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباسّ، دار صادر، بيروت.

15- جودت عبد الكريم، (1984)، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

16- جهلان عدون، (1991) ، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، سلطنة عمان، مكتبة الضامري ط2.

17- روبيرتو روبيناتشي، (د.ت) ت، العزابة حلقة الشيخ محمد بن بكر ر: لميس الشجني، تقديم محمد أمادي، منشورات مؤسسة توات الثقافية.

18- صلاح الدين شعبان، (2003-2004) التربية والتعليم عند الإباضية بالمغرب الإسلامي بين القرنين الثالث والخامس الهجريين (9- 10م) رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، كلية التاريخ.

19- عبد الرحمان عثمان حجازي، (2000) تطوّر الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي من القرن الأول حتى القرن العاشر الهجري، ط1، المكتبة العصرية بيروت.

20- متياز إبراهيم ، (د ت) نظام حلقة العزابة، تحقيق الخواجة عبد العزيز، مكتبة إبراهيم متياز بني يزقن .

21- مجموعة من الباحثين، (2011) معجم المصطلحات الإباضية، ج1، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

22- محمود إسماعيل، (1985)، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الهجري، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء.

23- محمد عيسى الحريري، (1987)، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، 16- 296هـ- ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، بيروت.

24- معمر يحي، (1964) الإباضية في موكب التاريخ، نشأة المذهب الإباضي، ط1، دار الكتاب العربي القاهرة.

25- مزهودي مسعود ، (1409هـ-1988م) الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب 297هـ، 442هـ- 909م- 1058م، رسالة مقدمة للحصول على شهادة الماجستير في الآداب، جامعة القاهرة، قسم التاريخ.